

تفسير البحر المحيط

@ 184 @ المتهور . ونظر أبو جعفر المنصور إلى أبي عمرو بن عبيد فقال : كلكم يمشي رويداً ، كلكم يطلب صيداً ، غير عمرو بن عبيد . وقال ابن مسعود : كانوا ينهون عن خيب اليهود ودبيب النصارى ، ولكن مشياً بين ذلك . وقيل : معناه : اجعل بصرك موضع قدمك . وقرئ : وأقصد ، بهمة القطع : أي سدد في مشيك ؛ من أقصده الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية ، ونسبها ابن خالويه للحجاز . والغض من الصوت : التنقيص من رفعه وجهارته ، والغض : رد طموح الشيء ، كالصوت والنظر والزمَام . وكانت العرب تفتخر بجهارة الصوت ، وتمدح به في الجاهلية ، ومنه قول الشاعر : % (جهير الكلام جهير العطاس % . جهير الرواء جهير النعيم .

%) .

% (ويخطو على الأين خطو الظليم % .

ويعلو الرجال بخلق عميم .

%) .

وغض الصوت أوفر للمتكلم ، وأبسط لنفس السامع وفهمه . وأنكر : أفل ، إن بنى من فعل المفعول ، كقولهم : أشغل من ذات النحين ؛ وبناءؤه من ذلك شاذ . والأصوات : أصوات الحيوان كلها . وأنكر جماعة للمدام اللاحقة للأصوات ، والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة . شبه الرافعون أصواتهم بالحمير ، وأصواتهم بالنهاق ، ولم يؤت بأداة التشبيه ، بل أخرج مخرج الاستعارة ، وهذه أقصى مبالغة في الذم والتنفير عن رفع الصوت . ولما كان صوت الحمير متماثلاً في نفسه ، لا يكاد يختلف في الفطاعة ، أفرد لأنه في الأصل مصدر . وأما أصوات الحمير فغير مختلفة جداً ، جمعت في قوله : { إِنْ أَكْرَأَ الْأَصْوَاتِ } ، فالمعنى : أنكر أصوات الحمير ، بالجمع بغير لام . وقال الحسن : كان المشركون يتفاخرون برفع الأصوات ، فرد عليهم بأنه لو كان خيراً ، فضل به الحمير . والظاهر أن قوله : { إِنْ أَكْرَأَ الْأَصْوَاتِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَمِيرٌ } من كلام لقمان لابنه ، تنفير له عن رفع الصوت ، ومماثلة الحمير في ذلك . قيل : هو من كلام الله تعالى ، وفرغت وصية لقمان في قوله : { وَاعْظُصْ مَنْ صَوَّتَكَ } رداً به على المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت ، ورفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة ، وربما يخرج الغشاء الذي هو داخل الأذن . وقيل : { وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ } : إشارة إلى الأفعال ، { وَاعْظُصْ مَنْ } .

صَوِّتِكَ { : إشارة إلى الأقوال ، فنبه على التوسط في الأفعال ، وعلى الإقلال من فضول الكلام . .

{ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّا سَخَّرْنَا لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ * وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّذِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتبعوا ما أنزل إلى آخر الآية) { .